الأسطورة ودورها في كتابة التاريخ الإسلامي
مرويات الفتح الإسلامي للأندلس إنموذجاً

أ. أمل مصطفى المصدور*

المستخلص: إن ظاهرة الأسطورة وارتباطها بالتراث الإنساني والتطور الفكري ، واتصالها بالعديد من الفنون والمعارف الإنسانية كالفلسفة والآثار والتاريخ، جعلها موضوعاً مفضلاً للعديد من الكتّاب والمفكرين لمعرفة الأسباب المعللة لظاهرة الأسطورة، فالأسطورة تحتل مكانة خاصة في تراث الإنسانية، وارتباطها ارتباط وثيقاً بكيفية تصور الشعوب لثقافتها وتاريخها، وبما أن التاريخ العربي الإسلامي يزخر بأقوال وحكايات من قبيل الأساطير التي تروي قصص الأبطال والملوك والقادة والفاتحين ووضعهم في مكانة مقدسة وترسم حولهم هالة أسطورية في كثير من الأوقات، لذلك رويت العديد من الأساطير في مرويات الفتح الأندلسي وسيطرت الأسطورة على المؤرخ فكانت منطلقاً لأبداعه وقدرته على تحليل الوقائع التاريخية وربط الأحداث، لذلك نجد التاريخ الأندلسي يزخر بالروايات والأساطير نتيجة طبيعية لتكوينه الغير متجانس من العرب والبربر واليهود والقوط والمولدون ونصارى كلا منه يضفي هالة على تاريخه وجذوره.

كلمات مفتاحية: اساطير، التاريخ، مرويات، فتح الأندلس.

The legend and its role in writing Islamic history
Narratives of the Islamic conquest of Andalusia as a model

Mrs / Amal Mustafa Al- Masdour
Lecturer/ College of Arts / University of Benghazi

Absruct:The phenomenon of myth and its connection to human heritage and intellectual development, and its connection to many arts and human Knowledge such as philosophy, archeology and history, He made it a favorite topic for many writers and thinkers to know the reasons behind the phenomenon of myth And since the Arab – Islamic history abounds with sayings and tales such as legends that tell the stories of heroes, Kings, leaders, and conquerors ,placing them in a sacred position and drawing a mythical aura around them at many times ,Therefore, many legends were narrated in the narratives of the Andalusian conquest , and the legend dominated the historian ,so it was a starting point for his creativity and his ability to analyze historical facts and link events, Therefore, we find that Andalusian history abounds with novels and famous people, as a natural result of being a heterogeneous being **of** Arabs, Berbers ,Jews , Goths **,** Muwallads , and Christians, each of which adds an aura to its history and roots.

Keywords: Legends – of history – narratives – Conquest of Andalusia.

المقدمة:

لقد لعبت الأسطورة دوراً لا يستهان به في التاريخ الإنساني، عبر العصور ن ولكن من غير المتوقع تأثير الأسطورة على مؤرخي العصور الإسلامية لما أتبعوه من المصداقية والتحري في النقل والنقد والتعقيب على الوقائع التاريخية، والمتتبع للتاريخ الإسلامي منذ صدر الإسلام إلى سقوط الخلافة في الدولة العثمانية نجده يحتوي على الكثير من الأساطير والمغالطات، التي تستدعي وقفة جادة من الباحثين لتنقية المصادر الإسلامية من تلك الأساطير التي في باطنها بعض التشوية للخلفاء والقادة والأمراء في العهود الإسلامية.

* محاضر، تاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي amel.almasdur@uob.edu.ly

ونود أن نشير أن الخوض في تنقية المصادر الإسلامية ومقارنتها والطعن في المغالطات التي انتهجها بعض المؤرخين لأغراض شخصية أو سياسية، ليس سهلاً بل أنه موضوع يصعب على الباحث فيه الإلمام بكل جوانبه، فهذا الموضوع يحتاج إلى البحث الدقيق والوقفة الجادة والسير على خطى الدكتور حسين مؤنس في تنقية المصادر الإسلامية، والسير على نهج الدكتور محمد عابد الجابري، في موسوعته المتسلسلة في نقد العقل العربي، كما ننوه في عدم نقد المؤرخين المسلمين المتأخرين للسابقين، فقد اقتصر البعض في عدم تداول القصة في عدم تصديقها، ولم يعقب عليها بالنفي. ولكن هذا لا ينفي بأن بعض الأساطير تحمل في مكنونها بعض الحقيقة ولها علاقة وثيقة بالتاريخ.

ومن خلال بحثي هذا أردت التطرق وتتبع الأسطورة من وجه نظر مخالفة لمن سبق وتطرق لهذا الموضوع إلمام بالموضوع وعرضه بشكل متسلسل وعرضه لخطوات الفتح في الأندلس وما صاحبها من روايات ملفقه وأساطير موضوعة.

تكمن إشكالية البحث في التساؤلات التالية:

1. ما هو الغرض من وراء وضع تلك الأساطير على الفتوحات الإسلامية في الأندلس؟
2. اعتماد بعض مؤرخي العرب على روايات المستشرقين المغرضين.
3. ما مدى الدور الذي لعبته تلك الروايات في تشويه بعض الخلفاء وقادة الفتح الإسلامي في الأندلس؟

الإطار الزماني والمكاني والموضوعي للدراسة:

يتشكل بحثنا هذا ضمن إطار زماني ومكاني، حيث أتخذ من بدايات الفتح الإسلامي للأندلس فضاءً بحثياً، منذ سنة 92هـ إلى سنة 95هـ، وموضوعه أساطير المصاحبة للفتوحات الإسلامية.

تتلخص أهمية الموضوع في أنه يسلط الضوء على المغالطات التي أخذ المؤرخين في اجترارها بدون تمهيص ونقد لما قيل في حق القادة الفاتحين وفي اعتماد المسلمين على الخونة نصارى في فتح الأندلس.

وتهدف هذه الدارسة في تنقية صورة الفتح من الأساطير التي اكتنفتها والنشوية للقادة الفاتحين والطعن في الخصومات والمشاحنات التي ترويها المصادر حول قادة الفتح.

ولضرورة تفتضيها طبيعة الدراسة فقد لجأت إلى اتّباع مناهج عدة: بسبب طبيعة الموضوع أصبحت مُلزمة من الناحية العلمية باحترام السياق التاريخي والتسلسل الزمني، للمساهمة في حسن فهم الموضوع، بالإضافة إلى تتبع المنهج التحليلي، لتتبع وتحليل الروايات وراويها، والاستعانة بالمنهج المقارن، للمقارنة بين المصادر التاريخية.

الدراسات السابقة:

1- مقالة للدكتور سعد بو فلاقة، **خطبة طارق بن زياد بين الأثبات والنفي**: مجلة المؤرخ ، العدد الأول ، 5نوفمبر 2008م، تناول هذا الباحث جزئية من مسار الفتح وهو خطبة طارق بن زيادة لجيوشه في الجزيرة الخضراء ، ففي هذا البحث لم يتطرق إلى عبور طارق وكيفية ذلك ، قبل وصوله للخطبة.

2- عبد الحليم عويس، **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة لا تاريخ** ، (القاهرة ، 1995م)

وينطبق على هذا الكتاب ما سبق من المقال لم يتناول مراحل الفتح، فقد كان يتطرق إلى قضية إحراق السفن، ولكن كانت مساهمة هذا الكتاب في ردف بعض جوانب البحث.

3 – حامد عبد الحمزة محمد علي، **جدلية التفسير الأسطوري للتاريخ** ، مجلة دراسات التاريخية ،العدد52، جامعة بابل. لقد كانت تلك المقالة تتمحور حول تفسير الأسطوري للتاريخ، وكيفية تتبع الهوى البشرية في تفسير التاريخ من خلال الأسطورة تغطية بعض الجوانب المبهمة لديها.

وفيما يتعلق بخطة البحث والذي قسمه إلى محورين، المحور الأول سأتطرق فيه ماهية الأسطورة، وتعريفها ونشأتها والعلاقة بين التاريخ والأسطورة، وسنخصص المحور الثاني ك مرويات الفتح واختلاطه بالأساطير.

المحور الأول ماهية الأسطورة وتعريفها لغاً واصطلاحاً، والعلاقة بين التاريخ والأسطورة:

ماهية الأسطورة:

اختلف المؤرّخون في تحديد مفهوم موحد للأسطورة، وحينما أراد القديس أوغسطين أن يفصح عن ماهية الأسطورة قال: "إنّي أعرف جيداً ما هي، بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سُئِلْتُ، وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ (**جمعية التجديد، 2005م**، ص 12) و يتفق المؤرخون بأن الأسطورة تعود إلى أزمان سحيقة للتاريخ الإنساني قبل معرفة الكتابة.

تعريف الأسطورة لغاً واصطلاحا:

إن مصطلح الأسطورة له جذوره اللغوية ومعانيه في اللغة العربية واللغات الأخرى.

التعريف المعجمي للأسطورة: جاء في مختار الصحاح، أنها جاءت من سطر يقال بنى سَطَرا، وغرس سَطَرا، والسَطَر أيضا الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر، ويقال سَطَرا والجمع أسَطْار، وجمع أسَاطِيرٌ وجمع السَطَرَ أسَطَر وسُطُوَر (**الرازي،1986 م، ص298**).

والأسَاطِيرٌ: هي الأباطيل وهي أحاديث لا نظام لها، واحدتها أسطار" وإسْطَارَة وأُسْطُورَة وسَطْرُهَا: ألفها وسَطَرَ عَلَيْنَا أَتَانَا بالأَسَاطِيرِ.

أما في صاحب كتاب لسان العرب فقال عن الأسطورة في مادة تَسَطَرَ= سَطَرَ= السَّطْرُ والسَّطْرُ الصف من الكتاب والشجر والنخل والجمع أسْطُرٌ وأسْطَارٌ وأسَاطِيرٌ، والسطر الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر. (**ابن منظور،1986 م،4/ 363** يتضح مما ورد في المعجمين السابقين أن ابن منظور يرى أن الأساطير هي الأقاويل المزخرفة والمنمقة، كما أنها تعني الكتابة. ويتفق مع مرتضى الزبيدي على أن الأساطير هي الأحاديث التي لا نظام لها، كما أنها تعني الأباطيل. (**الزبيدي، 1965 م، ص520**)

وردت في القرآن الكريم في تسع آيات والملاحظ أنها كانت مقرونة ومضافة إلى لفظ الأولين، قال تعالى: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ» الأنعام الآية 25. خير لابتداء محذوف والمعنى قالوا: «الذي جاء به أساطير الأولين» معناه سطره الأولون، ومفرد الأساطير أسطورة، كما قالوا أحدوثة وأحاديث. «والأساطير، الأباطيل والأساطير، أحاديث لا نظام لها» ويقول الطبري في تفسير الآية الثالثة: أي ما سطره الأولون، وكتبوه من الأحاديث والأخبار.(**الطبري، 1994م ،35/24**)

ملخص القول أن الأسطورة تعني الكلام المسطور المصفوف، ولا يشترط فيها أن تكون مكتوبة أو مدونة، ولكن بالضرورة الكلام المنظوم سطر بعد سطر، فتظهر مصفوفة كقصائد الشعر مما يسهل حفظها وتداولها ويحافظ على بنيانها وكلماتها، لذلك يقول المعاندون للقرآن (ما هذا إلا أساطير) ولم يروا الأساطير مكتوبة، بل تناقلوها شفويا، (**جمعية التجديد، 2005م، ص15**)

وبذلك يكون اللغويين متفقون على معنى الأسطورة من حيث اللغة، ولكنها لم تعطي مدلولا حقيقاً لكلمة أسطورة، الأساطير هي الأحاديث التي لا نظام لها، وهي الأباطيل والأحاديث العجيبة، وهي الحكاية التي لا أصل لها.

الأسطورة اصطلاحاً: بما أن الأسطورة واقعة ثقافية . شديدة التعقيد فمن الصعب نجد تعريف محدد لها يتفق عليه المختصون في دراسة الأسطورة، فمنذ ظهور مصطلح الأسطورة وهو يُعرف بمعاني مختلفة ومتنوعة بتنوع مواقف وآراء العلماء والباحثين حسب اختلاف مشارب أصحابها، فهناك من ينظر إليها بقدسية باعتبارها حقيقة تاريخية، ومنهم من ينظر إليها بنظرة سطحية التي تدل على كل ما هو تخييل وتلفيق وكل ما هو ليس حقيقاً. فبين تعدد وجهات النظر يصعب علينا إيجاد مفهوم جامع مانع للأسطورة، لأنها تحوي عناصر ثقافية شديدة التعقيد يصعب علينا وعلى أهل الاختصاص والمشتغلين بها إعطاء مفهوم لها لتداخلها مع مفاهيم أخرى.

فبرونوسلاف مالينوفسكي: حاول أن يضع تعريف للأسطورة قائلاً " ليست الأسطورة تفسيراً يراد منه تلبية فضول علمي، بل هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصيلة، وتستجيب لحاجة دينية عميقة، وتطلعات أخلاقية وواجبات وأوامر على المستوى الاجتماعي،.....تملأ الأسطورة وظيفة لا غنى عنها تفسر وتقنن المعتقدات ، تحامي عن المبادئ الأخلاقية وفرضها. (**محمد الخطيب، 2000م، ص194**)

لكن البعض يرجع أصل الكلمة إلى اللغة اليونانية، حيث يظن أنها مقتبسة من كلمة استوريا اليونانية وتعني القصة أو الحكاية . وقد وردت في المعجم الفلسفي، أسطورة myth: الأصل اليوناني للفظة الأجنبية mythos لذلك وجد مصطلح ميثولوجي " " Mythologyفي الإنجليزية بمعنى (علم دراسة الأساطير) (**حاكم عمارية، د ت، ص133**) وتعرف الأسطورة خطأ بأنها قصة خرافية أو معتقدات خرافية إذ هي تصور شامل عن العالم وعن مكانة الإنسان في الطبيعة. واللفظة الإنجليزية «حديثة العهد فهي منذ أكثر من مائة وخمسين عاما»، فالمعجم الفلسفي يرفض تعريف الأسطورة بالخرافة والمعتقدات الخرافية من باب أنها تمثل طفولة الفكر البشري وتصوره للعالم، لكنه أهمل التصور العلمي لها فقد تكون الأسطورة خرافة من وجهة العلم، وقد تكون معتقدا خرافيا من وجهة الدين. فالأسطورة «هي الدين وشعائره والتاريخ وحوادثه والفلسفة ومجالاتها والمجتمع ومشاكله والأدب وقصصه، والكون جميعه عند القدماء، وهي ليست فكرة خاطئة بل إنها فكرة بدوية تاريخية، لونت بصيغة الإطناب لإظهار أهمية تلك الحادثة الحقيقية في عصر مضى وزال أثره من ذهن الناس، والناس بالطبع يرغبون في تكبير الشيء الصغير للإثارة وجذب الانتباه» (**مرسيا الياد، 1991م، ص11**)

لكن في حقيقة الأمر أن الأسطورة هي ظاهرة من أهم ظواهر الثقافة الإنسانية، وهي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات، وغالباً ما تجرى صياغتها في قالب شعري يساعد على ترتيلها في المناسبات وتداولها الشفاه، كما تتزود بعواطف جياشة، كما يحافظ النص الأسطوري على تباته عبر فترة طويلة من الزمن وتتناقله الأجيال مادام محافظاً على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة، ولا يعرف للأسطورة مؤلف معين لأنها ليست نتاج خيال فردي، بل ينتجها الخيال المشترك للجماعة، كما تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية فالأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة، كما يلعب الآلهة وأنصافها أدواراً رئيسية في الأسطورة، كما تتمتع الأسطورة بقدسية وسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم، لذلك ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه، (**فراس السواح ، د.ت ،ص 8**)

نشأة الأسطورة:

نشأت الأسطورة ، للردّ على أسئلة الإنسان القديم الذي تعجب مما يحيط به من ظواهر الكون وأسرار الطبيعة، وقد لجأ إلى الأسطورة لتفسير تلك الأمور الغامضة في حياته، ولإشباع رغبته الباحثة عن الحقائق، مستنداً إلى عالم واسع تكتنفه الخرافات والأوهام والتخيلات، وقد نشأت مدارس لدراسة الأسطورة، ويجادلون ويقولون إنّ الأسطورة القديمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمناسك والشعائر، وإن الأسطورة لم تزد عن كونها شعائر منطوقة، وقد وجدت الأسطورة لإشباع نهم الإنسان إلى المعرفة، ولتسويغ وجود ما لا يحدّه العقل البشريّ ، ولتقديم تفسير للكثير من الظواهر التي يعجز العقل على تفسيرها، من هنا كان دور الميثولوجيا الفاعل لدراسة الإنسان لعالم الخوارق والأساطير، وعبرها انتقلت تجارب الآخرين وخبراتهم المباشرة ، وقد ارتبطت الأسطورة بالدين ارتباط وثيقاً، فكانت الأسطورة تعني قصة حقيقة ومقدسة ، لأنها تمثل الحاجات الدينية والحِكَم الخلقية.(**ميخائيل مسعود،1994م ، ص 25)**

العلاقة بين التاريخ والأسطورة:

وجدت الأسطورة مكتوبة في الألواح الطينية والرُقَم، واستخرجت من الأنقاض وتحت الخرائب، وأن لعبت الطبيعة دورها في ضياع الكثير منها حيث وصلت نصوص منقوصة بسبب عوامل التعرية وبقائها أحقاباً طويلة تحت الأرض، وقد حفظ لنا التاريخ موروثاً ثقافياً من الأساطير سواء كان مكتوباً مثل الحضارات العالمية الكبرى متمثلة الحضارات الفرعونية والبابلية والصينية واليونانية، أو شفاهياً أمدتنا بها الدراسات الميدانية الأنثروبولوجيا.

في الحقيقة أن الصلة بين التاريخ والأسطورة صلة قوية تحتم ضرورة الاستفادة من المحصلة الأسطورية كمصدر للمادة التاريخية، أسوة بالنوازل الفقهية والأدب والشعر لاستنباط المادة التاريخية، فالأسطورة تعبير مروي عن أنشطة الأنسان الذي لم يكن قد طور أسلوب التدوين التاريخي يعينه لتسجيل أحداث يومه، فكانت الأسطورة هي البوتقة التي صب فيها نتاجه الفكري، والوسيلة التي عبر بها عن فكره السياسي والديني، وعرفت بالحقب الأسطورية من عمر الشعوب، وهل نستطيع تلمُّس حوادث تاريخية تحت المستوى الظاهر للحوادث الأسطورية؟ لأن الأسطورة على الأرجح كانت الوسيلة الأساسية لتعبير عن الأنشطة الإنسانية في فترة ما، وهناك صلة أخرى تربط بين الأسطورة والتاريخ وهي الصلة الزمنية التي يصعب تحديدها وتختلف باختلاف الشعوب، فالتاريخ هو بديل الأسطورة للتعبير عن أنشطة الأنسان، وعلى هذا فإن التاريخ كما يعتقد البعض هو وليد التفكير الأسطوري، في بداية التاريخ موصول بأواخر عصور الأسطورة، فإن التحديد الزمني لمطالع التاريخ وأواخر التفكير الأسطوري يصعب حسمه لاختلاف درجات النمو الفكري لتاريخ الشعوب، فبعض الشعوب دخلت في العصر التاريخي قبل غيرها، وفي حين يوجد شعوب لازالت تعيش في العصر الأسطوري لظروف تاريخية أو دينية خاصة بها (**محمد خليفة، 1997م، ص25**).

أن الأصل الأسطوري للأشياء كان أسبق من الأصل التاريخي، لذلك فالأسطورة تمثل سجلاً تاريخياً، والأسطورة تتميز عن التاريخ إن زمنها غير محدد، إذ هي تفسر الماضي والحاضر والمستقبل، في حين التاريخ يقتصر على أحداث حدث في غابر الزمان، مما يمنح الأسطورة شمولاً وأصالة، فالأسطورة تهدف للكشف عن الثوابت، مما جعلها تستمر في حياتها مع انبثاق السرد التاريخي، وتتعايش مع التاريخ (**حامد عبد الحمزة، د. ت، ص27**)

لكن السؤال الذي يطرح نفسه متى بدأت الكتابة التاريخية كجنس مستقل عن الأسطورة؟

إن استقلال الكتابة التاريخية بدأت عندما أخذ الأنسان البحث عن المسببات والدوافع لوقوع الأحداث، وبدأ التاريخ يتجرد من قدسيته، وولد علم التاريخ الذي حل محل الأسطورة في صنع الذاكرة الجمعية وتعرف الأنسان على الدور الذي يلعبه في صنع الأحداث والوقائع التاريخية (**فراس سواح، د. ت، ص6**) من هذا المنطلق توجهت إلى محاولة عزل المادة التاريخية عن المادة الأسطورية التي غمرتها في مرويات فتح الأندلس.

المحور الثاني: مرويات الفتح الأندلسي واختلاطه بالأساطير:

مرويات الفتح الأندلسي واختلاطه بالأساطير:

في حقيقة الأمر بأن الأسطورة لم تختلط بمرويات الفتح الأندلسي فقط، بل أن التاريخ الإسلامي ملئ بالأساطير والخرافات التي تمت إضافتها في العصور الإسلامية ، وخاصة مع بداية التدوين التاريخي للمسلمين، والمتمعن لدراسة التاريخ الإسلامي تنتابه الحيرة في كمية الأكاذيب والتلفيق التي احتوتها بعض الكتب الإسلامي ، وأن كانت بدون قصد فالكثير منها كان مقصود لإضافة صفة الألوهية على بعض الشخصيات وتمجيدها، أو بالعكس بقصد تشويهها، ولكن الحديث يطول عن تلك الأكاذيب والأساطير يطول ولا يسع المجال لذكره، والذي سوف أخصص له وقتاً من الدراسة والكتابة عنه مستقبلاً، ولكن في هذه السطور حاولت توجيه الأنظار إلى الأساطير والخرافات في مرويات الفتح الأندلسي.

أساطير حول مراحل الفتح:

حُكيت العديد من الروايات والقصص حول عملية فتح العرب للأندلس، ولا أريد وضع عناوين للأساطير لأني أثرت تتبع عملية الفتح منذ خطواتها الأول، وأولى تلك الأساطير الغنائم التي رجع بها طريف الذي كان في غزوه استكشافية وللاطلاع على عروات القوط في الجزيرة الخضراء، حيث يذكر صاحب أخبار مجموعة " فبعث رجلاً من مواليه، يقال له طريف، ويكنى بأبي زرعة في أربعمائة، ومعهم مائة فرس، فسار في أربعة مراكب ..... ثم نهض حتى أغار على الجزيرة، فأصاب سبياً لم يرى موسى مثله وأصحابه، ومالاً جسيماً، ورجع سالماً (**مؤلف مجهول، 1989م، ص17**)

أيعقل في غارة خاطفة سريعة لتفقد الأحوال والأوضاع يعود قائدها بالأموال والسبايا، وكأن الجزيرة تنعم بأوضاع اقتصادية مرفهه، وتصور تلك الروايات بأن الذهب والسبايا على شواطئ البحر سهلة المنال وكأنها اللؤلؤ المنثور، وإذا كانت تلك هي حياتها الاقتصادية لماذا يرهق لذريق العامة بالضرائب، فالدارس لوضع الأندلس قبيل الفتح لا يخفى عليه سوء الأحوال الاقتصادية التي تعاني منها شبة الجزيرة الأيبيرية في تلك الحقبة.

أما عبور القائد البربري طارق بن زياد المضيق بسبعة الآلاف من الجنود في أربعة سفن، حيث يذكر صاحب أخبار مجموعة "فبعثه في سبعة الآلاف من المسلمين جلهم من البربر والموالي، ليس فيهم عرب إلا القليل، فدخل في تلك الأربع السفن، لا صناعة لهم غيرها" هذه النصوص توضح أنهم لا يملكون إلا هذه السفن التي انتقلوا بها من العدوة المغربية إلى العدوة الأندلسية، فمن أين جاءت أسطورة حرق السفن من قبل طارق عنده وصوله للجزيرة، والتي تم ذكرها في ثلاث مصادر فقط، فقد ذكرها الحميري قائلاً" .....لما جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل، وقدر أن العرب لا تثق به، وأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها" (**الحميري ، 1937م ، ص224**) ، أما ابن الكردبوس يذكر "ورحل نحو قرطبة بعد أن أحرق

المراكب وقال لا صحابه قاتلوا أو موتوا ، فلقى عجوزاً فقالت له، كان لي زوج عالم بالحدثان وكان يخبر أنه سيجوز رجل في صفتك عظيم الهامة في كتفه شامة، وفيه علامة تكون له الزعامة ، فكشف لهم عن الشامة والعلامة، فتباشر الناس بذلك وتشجعوا به" (**ابن الكردبوس ،1971م، ص47**) وقول تلك العجوز قصة أخرى، وكائن المسلمين يقودهم للحروب هي رؤية العرافين وليس روح الجهاد ونشر الدين الإسلامي، كما لا أعتقد أن تلك العجوز تتحدث اللغة البربرية أو العربية وهي من سكان الضفة الأخرى ؟!!!!

أما المؤرخ الإدريسي قال: " ..... وتحصنوا بهذا الجبل أحس في نفسه أن العرب لا تثق به فأراد أن يزيح ذلك عنه فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها فتبرأ بذلك مما أتهم به (**الإدريسي، 2002م، ص540**) على الرغم من أن الثعالبي ذكر إغراق السفن وليس إحراقها " وبعد ذلك أمر طارق بإغراق المراكب لينقطع بذلك أمل العساكر في الرجوع. ثم قال لهم : "سيروا على بركة الله، لا وقاء لكم بعد ذلك إلا تحت ضباه السيوف، والعدو قبلكم والبحر وراءكم، فإما النصر وإما الموت حرقاً أو غرقاً، فاختاروا لأنفسكم ما شئتم " (**عبد الغزيز الثعالبي ، 1990م ، ص99**) ومن هذا المنطلق لهذه النصوص، هناك اختلاف بين الروايات بين الحرق والغرق، وبين فحوى الخطبة التي سوف نأتي على ذكرها، ولو سلمنا فرضاً بحرق تلك السفن، فكيف يطلب طارق بن زياد العون من موسى بن النصير بمجرد نزوله وطلب منه الغوث والمدد وهل يعقل صناعة سفن جديدة في فترة وجيزة من نفس العام، وكذلك عبور موسي في العام التالي، ولكن في حقيقة الأمر لا نعرف من وراء هذه الأساطير؟ هل كتابات المستشرقين حتى يجدوا العذر لانتصارات المسلمين على القشتاليين، وبأن لا مفر لهم من الموت بعد إحراق سفنهم لذلك قاتلوا ببسالة، أو ربما البربر حتى يضفوا هالة على القائد البربري التي اختفى من كتب التاريخ بعد فتح الأندلس هو وقائده موسى بن النصير، وأكتنف الغموض مصيرهم !!!

كما أنه ليس من الحنكة العسكرية قفل طرق النجاة من قبل القائد لجيشه، ويعرض نفسه للمسألة أمام القائد موسى بن نصير وأمام الخليفة في المشرق الذي كان منذ البداية حريص على سلامة أرواح المسلمين وطلب منهم أن يختبروها بالسرايا ولا يغرر بالمسلمين (**ابن عذاري، 1983م، 5/1**).

هذا وإذا سلمنا باستعارة السفن من ليليان فانه من البديهي عدم إحراق ما لا يملكون، يجب ان ننوه إن المسلمين ليسوا بالغباء حتى يضعوا ثقتهم في عدوهم وأن جاء طلباً مساعدتهم، من غير المعقول أن يدفعوا بجنودهم في سفن عدوهم. وقصة استعارة السفن حكاية أخرى، من المعروف بأن المسلمين قد قادوا عدة معارك بالسفن أشهرها معركة ذات الصواري سنة33هـ استعملوا فيها اسطولهم البحري المكون من مائتين سفينة (**ابن عبد البر، 2002م ،919/3**) وفي سنة 46هـ وجّه معاوية بن حُديج ـ والي إفريقية أسطولاً إسلامياً، عُدَّتُه مئتا سفينة لفتح جزيرة صقلية وفي سنة 86هـ تولى عياش بن أخْيَل قيادة المراكب إلى صقلية وكانت قد صنعت في دار السفن بتونس، (**ابن عذاري،42/1**)

لذلك أنفي أسطورة استعارة السفن من العدو لفتح الأندلس ،فالعرب لهم نشاطهم البحري، وأن عملية عظيمة كفتح الأندلس لا تتم بسفن مستعارة والاعتماد على العدو في عملية استراتيجية ، وسبق التهيؤ لفتح الأندلس منذ عهد عقبة بن النافع وأن امتلاك اسطول بحري كان من أحد أسباب فتح الأندلس، لذلك أكد ان سفن فتح الأندلس هي صناعة إسلامية قد جلبها موسى من دور الصناعة في تونس، واستخدمت في نقل الآلاف من الجنود سواء جنود طارق أو موسى بن نصير وقبلها جنود الحملة

الاستكشافية للطريف ،لذلك لا يحق لطارق التصرف بأموال الدولة الإسلامية على هواه، فكان أولى الرجوع إلى قائده موسى بن نصير أو خليفة المسلمين في دمشق.

لعل بعض المستشرقين يريد أن يوحي بأنه لولا خيانة القائد يليان ما أستطاع المسلمين دخول الأندلس، فهم يجهلون أن سياسة تأمين الحدود من الاستراتيجية العسكرية للقادة المسلمين، ويسبقها الرغبة الشديدة في نشر الدين الإسلامي والجهاد في سبيله.

وقفة قليلة مع المصادر فعند المقارنة بين مصدرين مهمين عن التاريخ الأندلسي نجد أن ابن القوطية وهو من المصادر الأندلسية لم ترد اسطورة إحراق السفن ولا أدنى إشارة، وابن الحكم المؤرخ المصري صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس لم تظهر القصة في كتابتهم وهؤلاء مؤرخي القرن الرابع الهجري، ولم تظهر عند مؤرخي القرن السادس الهجري أمثال ابن بسام الشنتريني، ولا مؤرخي القرن السابع والثامن امثال ابن عذاري وابن خلدون، فمن اين جاءت وأعتمدها مؤرخين المحدثين ويتناقلونها بدون تمحيص!!!والبعض يحلل بأن قصص مشابهة في التاريخ حدثت لذلك أضفوا على فتوحات طارق تلك الأسطورة.

ثم نأتي بالخطبة المزعومة للقائد طارق بن زياد والرؤيا التي رواها طارق لأصحابه، وأن لا أشكك شخصيا في الرؤيا لان ليست بمعجزة رؤية الرسول وخاصة أن رويها قائد مجاهد في سبيل الله، أما الخطبة فقد شكك البعض في نسبها لطارق بسبب اللغة وآدابها، فقيل بأن طارق قائد بربري وأنه من الصعب تمكنه من اللغة حتى يلقى هذه الخطبة في جنوده، فهي قطعة أدبية رائعة، ولكن في حقيقة الأمر لا أُشكك في تمكن طارق وغيره من اللغة العربية بحكم فطرة الناس وقوة حفظهم و تعلمهم كانت قوية، وتعلم اللغة مهم بالنسبة للأقوام الداخلة للإسلام لتعلم القرآن الكريم وأحكامه وتفاسيره، ولكن فحوى الخطبة هو ما يشكك في نسبها للقائد العسكري الذي يغري جنوده بالحور الحسان في بلاد الأندلس والغنائم، وهذا ما يؤكد ما قالة القوط عن العرب: "إن هذا الخبيث غلب على سلطاننا (يقصدون لذريق)، وليس من بيت الملك، وإنّما كان من أتباعنا، ولسنا نعدم من سيرته خبالاً واضطراباً، وهؤلاء القوم الذين طرقوا لا حاجة لهم في إيطان بلدنا، وإنّما مرادهم أن يملأوا أيديهم من الغنائم ويخرجوا عنا، فهلم فلننهزم بابن الخبيثة إذا نحن لقينا القوم، فلعلهم يكفوننا أمره، فإذا هم انصرفوا عنا نقعد في ملكنا من يستحقه، فأجمعوا على ذلك" (**المقَّري، 1988م، 232/1**) وهذه السطور تؤكد النظرة الدنيوية للمسلمين، وهذا ما يؤكد أن المستشرقين وراء دس هذه الخطبة ونسبها لطارق بن زياد، وللأسف تناقلها مؤرخي العرب جيلاً بعد جيل بدون تمحيص، كذلك اختلاف نص الخطبة بين المؤرخين فقد اختلف مع المقري وابن خلكان، ابن قتيبة، بالإضافة إلى خلوها من الآيات القرآنية، كذلك لفظة بنات اليونان ذلك المصطلح لم يستخدمه العرب على سكان الأندلس الذين كانوا يلقبونهم بالعلوج أو النصارى.

كذلك عند استقراء النص السابق، نجد أن لولا تهاون ملوك العجم وخذلناهم للملك لذريق ما استطاع طارق ولا موسى بفتح الأندلس وهذا ما أشار إليه صراحة رينهرت دوزي "غير أن الخيانة كانت متفشية فيه فأضرته وساعدت المسلمين ..... وأن البربر لم يطؤوا أرض المملكة للاستقرار وتأسيس لهم، بل كانوا يحسبونهم قدموا للسلب فقط ..)، (**دوزي ، د.ت ،ص44**) ، وهذه حقيقة عارية عن الصحة فقد كان هدف موسى بن نصير احتلال أوروبا بالكامل والوصول إلى مركز الخلافة من الجهة المقابلة لولا خوف الخليفة على المسلمين في دار الحرب، وطلب منه الرجوع "وأجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية، ويتجاوز إلى الشام دروبه ودروب الأندلس، ويخوض إليه ما بينهما من أمم الأعاجم النصرانية، مجاهداً فيهم ، مستلحماً لهم، إلى أن يلحق بدار الخلافة " (**المقَّري ، 234/1**)

ثم نتطرق إلى اسطورة أبنة ليليان التي شكك فيه بعض المستشرقين المحدثين على الرغم من الروايات الإسلامية تجمع على قبول هذه القصة، ولكن مؤرخي النصارى يرفضون مثل تلك الرواية للفتح وتنكرها معظم الروايات الإسبانية الحديثة، وتعتبرها اسطورة صاغتها الأغاني والقصص القديمة، ويذكر محمد عنان أن أعظم مؤرخي إسبانيا أمثال ماريانا وما سدى في مقدمة المنكرين لصحتها في حين يذهب مونتيخار إلى أبعد من ذلك حيث ينكر وجود شخصية ليليان بل يذهب البعض بانها خرافة موريسكية **(م عنان ، 1969م، ص35، كذلك دنون ، 2004م، 138)** وللرد على تلك الترهات، فقد شهد شاهد من أهلها، عندما قال القائد القوطي يسمى تدمير، الذي أرسل يطلب النجدة من لذريق قائلاً: "قد هوجموا من قبل قوات لا طاقة لهم بها ،وهو لا يعلم هل أن هؤلاء قد هبطوا إليهم من السماء، أم أنهم قد طلعوا عليهم من باطن الأرض" **(ابن خلكان، 1972م،321/5)** لا أعتقد أن المسلمين يقاتلوا بهذه الروح وهذه البسالة من أجل شرف ليليان وابنته تلك، وتعريض جنود المسلمين للمهالك من أجل الشرف المنشود، وهل الجندي الذي يسقط يُعد شهيداً في هذه الحالة أم لا.

للرد على تلك الأساطير وخرافات الفتح، بأن الحرب كانت مستعرة بين المسلمين والبيزنطيين الذين يهاجمون الشواطئ الأفريقية من الجزر القريبة مثل مَيُورُقة ومَنُوْرَقة وجزائر البلياردو وصقلية وسردانية، وأن أسطول القوط أنضم إلى أسطول الروم في مهاجمة المسلمين، مما حمل المسلمين إلى احتلال تلك الجزائر؛ ففي سنة (89هـ/709م) جهز موسى بن نصير ابنه عبدالله لفتح هاتين الجزيرتين مَيُورُقة ومَنُوْرَقة لان القوط والروم أتخذوها قواعد لمحاربة المسلمين في الساحل الإفريقي، وفتح الجزيرة الخضراء أنما لمواصلة تلك الحرب الدائرة بينهم، إن فتح الأندلس، وهو الوسيلة المثلى لحماية البر الإفريقي المقابل لها، وهكذا فتح المسلمون الفاتحون ما فتحوه، وهكذا حافظوا على ما فتحوه بالتعرض والجهاد، وبفتح جديد يرصِّن الفتح القديم **(خطاب ، 2003م، ص155)**

وهذه القصيد هي الرد على تلك الأقاويل : قصيدة أنشدها ابن اليسع لطارق بن زياد :

ركبنا سفيناً بالمجاز مُقَيَّرًا عسى أن يكون الله مِنّا قد اشترى

نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنة إذا ما اشتهيّنا الشيء فيه تيَسّرا

ولسنا نُبالي كيف سالتْ نفوسنُا إذا نحن أدركنا الذي كان أجْدار (المقري، 265/1)

ثم بعد تلك الأساطير السابقة تأتي أسطورة طبخ الأسرى في قدور بعد قتلهم من قبل طارق بن زياد، ومن غير المعقول تصرف قائد عسكري مسلم بهذه الوحشية التي نهى عنها رسول الله في الفتوحات الإسلامية **(ابن قوطية، 1989م، ص35)**، ونفس هذه التصرفات فعلها مُغيث الرومي حيث تذكر المصادر "ورجع مُغيث إلى بقية العلوج، فاستنزلهم أَسرى، فضرب أعناقهم فسُميت تلك الكنيسة، بكنسية الأسرى عند النصارى **(أخبار مجموعة، ص23)**إن الدين الإسلامي دين تسامح ونشر الحق، وليس نشر الرعب بين عامة الناس، و مثل هذا التصرف ينفر أهل الأرض جميعاً من الإسلام وليس سكان الجزيرة !!!! وإذا كان المسلمين يقتلون الأسرى فمن أين جاءت الروايات بالأعداد الهائلة من السبايا والعبيد التي قادها موسى إلى دمشق والتي سوف نأتي على ذكرها، وللأسف إن من يذكر هذه الأساطير مؤرخي عرب.

غضب موسى وغيرته من طارق حكاية أخرى تضاف إلى أساطير الفتح:

وهذا نص من أشهر مؤرخي المسلمين يقول : "وبعد أن فرغ موسى من ماردة توجه إلى طليطلة، فاستقبله طارق بوجوه الناس، بمقربة من طلبيرة معظماً له ومبادرا لطاعته فوبخه موسى وغضب عليه، وقيل أنه وضع السوط على رأسه وقيل أنه ضربه

أسواطاً كثيرة وحلق رأسه ثم سار به إلى طليطلة (**ابن عذاري** ، ،**16/2**) ابن عبد الحكم يذهب إلى أبعد من ذلك قائلاً: " وأخذ موسى بن نصير طارقاً بن عمرو، فشده وثاقاً وحبسه ، وهّم بقتله، وكان مُغيث الرومي غلاماً للوليد بن عبدالملك، فبعث إليه طارق، إنك إذا رفعت أمري إلى الوليد، وأن فتح الأندلس كان على يدىّ، وأن موسى حبسني يريد قتلي، أعطيتك مائة عبد ..... فلما قدم مُغيث على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق، وبحبس موسى إياه، والذي أراد به من القتل، فكتب الوليد إلى موسى، يقسم له بالله، لئن ضربته لأَضربنّك، ولئن قتله لأقتلن ولدك به، ووجه الكتاب مع مُغيث " (**ابن عبد الحكم، 2001م، ص283**)

لنقف قليلاً أما هذه النصوص من مصادرنا العريقة، هل يتصور معاملة ومكافأة طارق من قبل قائده بهذا الشكل، وكيف يوبخه ويضربه وكاد أن يقتله وهو يتصرف بأمره في خطوات الفتح، الذي سرعان ما استمر بعد عبور موسى!!! فكيف يذهب الرسول ويأتي أنها رحلة تستغرق عاماً كاملاً على الأقل، وقولهم أن عبور موسى بسبب الغيرة من الانتصارات التي حققها طارق، بل السبب الحقيقي عندما بعث طارق مستغيثاً بموسى قائلا الغوث الغوث أن الأمم تداعت علينا من كل ناحية (**ابن قتيبة، د.ت ،73/2**) إذا مناصره مولاه الذي بعثه كان عبور موسى بن نصير ، وليس الغيرة والحسد من انجازاته التي من الطبيعي تنسب إلى موسى وهو قائد الأعلى وأن مكاسب النصر تحسب لموسى بن نصير (**زيتون، 1990م، ص173**)، وربما لا تتجاوز معاتبة قائد لجنود للتوغل في المجهول وتضاريس غريبة عن طبيعتهم وتعريض الجيوش للمخاطر، وبالدليل على ذلك التوجه مباشرة لفتح ما عجز طارق عن فتحة ثم افتراقا الجيشان لمواصلة الفتح.

أما غنائم المسلمين من تلك الفتوحات هي رواية من العجب العجاب، فعند قراتي لتلك الروايات شعرت بأن تلك الجزيرة سقطت من حكايات ألف ليلة وليلة، وأولها سرج لذريق المكلل بالياقوت والزبرجد، ووجدوا حُله من ذهب مكلُّلة بالدر والياقوت، وقد ساخ الفرس في الطين، في السواخ ووقع فيه وغرق العَلْجُ (**أخبار مجموعة، ص19**) من المعقول تزيين فرس في ساحة المعركة بهذه المجوهرات، وكأنها في احتفال ديني أو قومي في أوضاع السلم، ولذريق الذي تشأم من فتح بيت الحكمة ورؤية صور العرب وعمائمهم في ذلك البيت أن صحت الأسطورة!! فكيف لا يأخذ تلك الحكاية على محمل الجد ويخرج متجشم اسلحته بدل اللؤلؤ والمرجان!!

قصة مائدة سليمان التي تخاصم عليها القائدان حكاية من وحي الخيال، فكيف تصل تلك المائدة إلى أرض اسبانيا هي ميراث بني إسرائيل في القدس؟ والغريب يتناقلها مؤرخي مسلمين فيقول:" وانتهى إلى مدينة خلف الجبل تسمى بمدينة المائدة وفيه وجد مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهي من زبرجد أخضر حافاتها وأرجلها منها مُكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت .... وكان لها ثلاثمائة وستون رجلاً" (**ابن الأثير، 1963م، 269/4**) وفي نص آخر فقيل لطارق: إن المائدة بقلعة يقال لها فِراس، مسيرة يومين من طليطلة، وعلى القلعة ابن أخت لذريق، ..... فقال له طارق أدفع إلىّ بالمائدة فدفعها إليه وفيها من الذهب والجوهر مالم يُر مثله ..... فقوّمت المائدة بمائتي ألف دينار، لما فيها من جوهر (**ابن عبد الحكم، ص279**). من المعروف لدى المسلمين أن المقدسات الدينية لا تقدر بثمن فمن قدر ثمن تلك المائدة؟ وفي الواقع أن المقري نفى نسب تلك المائدة إلى سيدنا سليمان عليه السلام، قائلاً :" .....أذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس، فإذا أجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه تلك الآلات الضخمة من الموائد والكراسي وأشباهها من الذهب والفضة، تحمل الشمامسة والقُسُوس فوقها مصاحف الأناجيل إذا

أبرزت أيام المناسك، ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها، فكانت تلك المائدة ممّا صيغ في هذه السبيل" (**المقّري ،272/1**) فقد أنصفنا المقري عندما نزع القدسية عن تلك المائدة التي تتوافر في كافة المدن وتستعمل للمذبح المقدس لدى النصارى.

ولكن عند البحث في القرآن الكريم والتفاسير لم أجد ذكراً لمائدة سليمان عليه السلام من ضمن كنوزه ومعجزات سيدنا سليمان عليه السلام، فلم يرد ذكر المائدة إلا مائدة المسيح عليه السلام التي أنزلها الله من السماء لإطعام قومه {إِذْ قَالَ اَلحَوَارِيُّونَ يَعيسَى اَبنَ مَريَمَ هَل يَستَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزّلَ مَآئِدَةً مّنَ السماء قَالَ اَتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ} **سورة المائدة (114)** الغريب في الأمر أن الكثير يذكر قصة مائدة سليمان من مؤرخي المسلمين دون التأكد من وجود تلك المائدة المزعومة، وهم كانوا قريبي العهد بالإسلام !!!!

أما التهاويل الغريب وقع في الغنائم والسبايا وملوك العجم الذين قادهم موسى والتيجان فوق رؤوسهم من الأندلس إلى دمشق، وهذا ما نص عليه ابن قوطية قائلاً: "وتوجَّه موسى بن نصير ، ومعه أبناء الملوك العجم أربعمائة على رؤوسهم تيجان الذهب، وفي أوساطهم مناطق الذهب" (**ابن قوطية، ص 36**) ولك أيها القاري أن تتخيل هؤلاء الملوك ينقادون كقيادة البعير ويعبرون البحر، ثم يقطعون المسافات الشاسعة دون أي محاولة للهرب أو المحاولة للمقاومة والقضاء على القائد موسى بن نصير الذي عاد وحده مع القلة القليلة من جنوده، فلا أعتقد انه عاد بجيشه من الأندلس فكيف لهؤلاء العلوج بقوا ملوك إذا هم بهذا الجبن والخوف، أما السبايا من الذكور والإناث فقد فاض الثلاثين ألفاً والمئات من أشراف القوط، كل تلك الإعداد لم يستطيعوا الهرب من موسى بن نصير ، بالإضافة إلى حمولتهم بالذهب والفضة والجواهر التي أجتاز بها بالمراكب، ثم حملها على العجل، فكانت وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة تبدل عليها الأزواج في كل مرحلة (**ابن الرقيق، 1990م، ص49**)وفي رواية أخرى "لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم ، فغلوا بها غلولاً كثيراً، حملوه في المراكب وركبوا فيها؛ فلما وسطوا البحر سمعوا منادياً يقول: اللهم غرّقْ بهم، فدعوا الله وتقلدوا المصاحف ..... ونقلاً عن عبدالملك بن مسلمة قال: سمعت عمرو ابن أوس يقول: بعثني موسى بن نصير أَفْتِشُ أصحاب عَطاء بن رافع مولى هزيل حين انكسرت مراكبهم، فكنت ربما وجدت الإنسان قد خبأ الدنانير في خرقة بين خِصْيَتَيه، قال: فمر بي إنسان متكئاً على قَصَبة، فذهبت أفتشه، فنازعني، فغضبت، فأخذت القصبة، فضربته بها فانكسرت، وأنثرت الدنانير منها "(**ابن عبد الحكم، ص283،282**) **فإذا** أشهر مؤرخي الأندلس يقول غرقت الكنوز في البحر بالمراكب، فمن اين أتي موسى بقوافل الذهب ومعادن الجوهر؟

في حقيقة الأمر أن الحديث عن مجوهرات الأندلس ومعادنها تشعرك بأنك في مغارة علي بابا فقد قيل في ذلك: "أن في بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهي، الرصاص من زحل، والقصدير الأبيض من المشتري، والحديد من قسم المريخ، والذهب من قسم الشمس، والنحاس من الزهرة، والزئبق من عطارد، والفضة من القمر". (**المقّري، ص144**) فإذا كانت بلاد الأندلس تحوي كل تلك الخيرات، ومعادن من أصل طبيعتها فلماذا كانت السباقة في حركة الكشوف الجغرافية واحتلال الشعوب وسلبها خيراته ومناجمهم.

العرافين وموسى ، فأتي موسى بن نصير شيخ كبير قد عصب على حاجبيه من الكبر ، فقال له موسى: من أنت ؟فقال: رجل من أهل هذه البلاد، قال له ما لنا من العلم عندك؟ قال: افتتحتم قمونية؟ قال: نعم. قال : فإنكم لابد أن تنتهوا من هذه البلاد

إلى منتهاكم، فنهض موسى بفتح مدائن الأندلس، (**ابن الرقيق، ص47**) فجزاه الله خير ذاك العراف الذي لولاه ما جاهد موسى وفتح تلك المدائن، ولربما عاد ادراجه بعد حصوله على الغنائم والزبرجد والياقوت لان طمع الدنيا هو الذي دفع المسلمين لتلك الفتوحات، وهذا ما يرمي إليه المستشرقين واتباع من المؤرخين المحدثين، وعن يوسف بن هشام قال: كان جدي من خاصة موسى فأخبرني قال: انتهينا إلى صنم، فوجدنا في صدر ذلك الصنم: ارجعوا بني إسماعيل، فإلى هذا منتهاكم، وإن سألتم إلى ماذا ترجعون أخبرتكم أنكم ترجعون إلى الاختلاف في ذات بينكم حتى يضرب بعضكم بعضاً، وقد فعلتم! (**ابن الرقيق، ص48**)

للأسف أن الكثير من الكتب التاريخية تحمل مغالطات ويسترسل بعض المؤرخين المحدثين في ذكرها دون نفيها أو بالأحرى عدم ذكرها وطيها في دفاتر النسيان، مثل ما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما قالوا له أن الكافرين يهُجون الرسول الله بالشعر، فكان رده أميتُوهُ بعدم ذكره.

أن الأساطير السابقة كلها ربما جاءت من باب التهويل والتضخيم وإضفاء هالة على الأحداث التاريخية، ولكن السيء في الأحداث التالي ذكرها، فمن غير المعقول استقبال قادة عسكريين وشجعان محملين بالغنائم والانتصارات والفتوحات العظيمة بالجحود والنكران والزج بهم في السجون ومعاقبتهم!!!!! هذا ما تذكره بعد المصادر التاريخية بدون تروي وتمحيص للحقيقة فالبعض يذكر انه قدم على الوليد ووبخه بأنه غرر بالمسلمين، ومنهم من قال انه قدم في عهد الوليد فسخط عليه سليمان لأنه جّد في السير لتقديم الغنائم والأخماس إلى أخيه الوليد "وراي أنّ ما همَّ به موسى غَرَرٌ بالمسلمين، فبعث إليه بالتوبيخ والانصراف .... وقدم على سليمان بن عبدالملك فسخطه ونكبه، وثارت عساكر الأندلس بابنه عبدالعزيز بإغراء من سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته" (**المقَّري ،1/233/234**)**أما** أبن عبد الحكم يقول: " وكان سليمان عاتباً على موسى بن نصير، فدفعه إلى حبيب بن أبي عبيدة وأصحابه ليخرجوا به إلى إفريقية، فاستغاث بأيوب بن سليمان فأجازه، وشفع له إلى أبيه، ويقال: إن سليمان أخذ موسى بن نصير، فغرم مائة ألف دينار، وألزمه ذلك، وأخذ ما كان له، فاستجار بيزيد بن المهّلب" (**ابن عبد الحكم، ص287**).

على أن بعض المصادر تذكر أنه لما بلغ سليمان مقتلُ عبدالعزيز بن موسى شَقّ ذلك عليه،(**أخبار مجموعة، ص29**)، فمن غير المعقول مكافاة القادة والفاتحين به القسوة والوحشية، وتلك الرسالة التي بعثها سليمان يطلب من موسى الانتظار وعدم القدوم حتى وفاة أخيه، في حين بعض المصادر ترى أن من نكب بموسى هو الوليد (**ابن خلكان،4/411**) عند تقصي الحقائق وسيرة الخلفاء في الدولة الأموية تجعلك تتحرى أن يتم إلصاق تهم عقاب القادة والفاتحين، مما يدل على عدم صحة هذه الادعاءات ذلك الحوار الجميل بين موسى بن نصير والخليفة سليمان الذي يسأله عن شعوب تلك البقاع المفتوحة فقال: "ما الذي كنت تفرغ إليه عند حروبك ومباشرة عدوك ؟ " قال: "كنت أفرغ إلى التضرع والدعاء والصبر عند اللقاء!" قال:" فأي الخيل رأيتها في تلك البلاد أسبق؟ "(**للاطلاع على الحوار الرائع أنظر ابن عذاري، 2/20،21**) وهذا الحوار إن دل على شيء انما يدل على حسن معاملة الخلفاء للقادة وهذا ما تؤكده السطور القادمة حيث يذكر ابن عذاري إن الخليفة عندما خرج للصيد أصطحب معه موسى "فمّر في مسنية له بذود غنم يكون فيها نحو ألف شاه، فالتفت إلى موسى، وقال له: "هل كان لك مثل هذا؟ " فضحك موسى وقال:" والله! لقد رأيتُ لأدْنَى مَوالِيّ أضعاف هذا!" فقال سليمان:" لأدنى مواليك؟ "فقال:" نعم والله! نعم والله! "ورددها مراراً، .....) ثم حج سليمان، وخرج موسى معه؛ فمات في اليوم التالي (**ابن عذاري، 2/ 22**)، وليس كما قيل معذباً من قِبل الخليفة الأموي. وهذا ما يؤكده الثعالبي ويفند الروايات التي أُتهم فيها الخلفاء بعقاب القادة.

"كان الوليد ينتظر مقدم موسى وهو في طريقه إليه فكتب إليه يأمره بالعجلة في مسيره خوفاً أن تدركه منّتيه قبل أن يقدم عليه وأنه يريد أن يراه، ولم يكن لموسى ما يثبطه عن لقاء الوليد فأقبل حتى دخل عليه يوم الجمعة، ..... فأقبل موسى بالمتوجين حتى دخل مسجد دمشق والوليد مكانه على المنبر يخطب وهو موهوق وقد أثرت فيه العّلة وإنما كان متحملاً من لأجل اقتبال موسى ومن معه. فلما رآهم التفت إليهم وقال الناس بعدما أقلعوا إليه بأعناقهم، موسى! موسى! ثم أقبل حتى سلم على الوليد ..... ثم أخذ الوليد في حمد الله والثناء عليه والشكر لما أيده الله به ونصره، ولما انتهى من الخطبة نزل وصلّى بالناس، فلما فرغ من الصلاة جلس ودعا بموسى فأفرغ عليه الخلع المزركشة ثلاث مرات وأجازه بخمسين ألف دينار وفرض لولده جميعاً في الشرف، وفرض لخمسين ممّن كانوا معه كذلك" (**الثعالبي، ص 108**) هذا النص أقرب إلى الواقع فمن الطبيعي مكافأة القادة والفاتحين والجزاء لهم بالعطايا والهبات.

من خلال هذه السطور يتضح اختلاق ما نسب إلى خلفاء بني أميه، تلك الدولة التي كانت دولة فتوحات وانتصارات، فلا يخفى على أحد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينجوا من الافتراءات ونسبوا إليه ما لم يقلُ لأغراض سياسية، فمن الطبيعي تشوه الدولة الأموية وخاصة إذا عرفنا أن التاريخ لم يدون ألا بعد قيام الدولة العباسية وظهور الفرق والشيعة، ولك أيها القاري أن تستنج ما يُكن تلك الفئات من مشاعر للدولة الأموية !!!

النتائج:

ـ في حقيقة الأمر أُصبت بخيبة أمل بعد التمعن في مصادرنا التي نعتز بها، والتي تسرد لنا تاريخينا الذي نعتز به، وما تحويه من مغالطات وافتراءات على شخصيات كان لها دور عظيم في تاريخنا الإسلامي "وهو العصر الذهبي للمسلمين" لقد صِيَغ التاريخ وكُتِبت فصوله العامة، ولكن مع الأسف صاغته أيادي لها مطامع سياسية تارة وأهواء مذهبية تارة أخرى، فبُنِيَت معظم فصول التاريخ على الباطل والظنون، كما يقول ويل ديورانت في كتابه "**قصة الحضارة**" الذي يعد أكبر كتب التاريخ الحديثة "يقول: "معظم التاريخ ظنّ ، وبَقيّته من إملاء الهوى" (**ويل ديورانت، 1988م،13/1**).

ـ يقول البعض إذا كان مؤرّخونا المسلمون الأوائل قد أخذوا نظرتهم إلى التاريخ بذلك القصور المبستر فقد كانت لهم اسبابهم ومبرّراتهم، .....ويقولون مازال المؤرخون الغربيون الباحثون ومن بعدهم تلامذتهم العرب يقيمون القطع الحاد بين المرحلة الإسلامية وبين ما سبقها، وهو يكرس تجاهلاً متعمّدا للحقائق التاريخية التي تثبت نفسها الآن بالحقائق الصريحة.

ـ إن الغايات والأهواء سعت منذ البداية نحو فصل الأمة في المنطقة العربية عن أصولها وتاريخها الحقيقي، ومنذ فترة علت الصيحات تطالب بإعادة النظر في التاريخ، لأن الأمة العربية ـ قد وقع عليها أشنع وأكبر عمليات التزوير والتحريف عبر التاريخ البشري، إنّ مراجعة التاريخ وإعادة التفتيش في موادّ تراثنا أمر جوهري أصبح حاجة ملحة ، لان بتنا منفصلين عن هذا التاريخ متخبطين في الأخذ أو عدم الاعتماد عليها من الافتراءات على الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وخلفاء الدولة الأموية الفاتحة الناشرة للإسلام وأو الدولة العباسية السنية، فالمطلع على كتب التاريخ يجد الكثير الكثير من التشويه ،ولا يخفى على أحد الأهواء والأغراض القصد الذي كانت وراء تلك الافتراءات.

ـ لابد من وقفه جادة من المؤرخين المحدثين لتنقيه مصادرنا من الغث والسمين والسير على نهج حسن مؤنس الذي قام بإصدار كتاب تنقيه المصادر، وكذلك عابد الجابري ذاك المفكر المغربي، الذي نادى لمراجعة التاريخ وتخليصه مما وضعه والفرق وأصحاب المذاهب وأخيراً الغرب.

الخاتمة:

من خلال ما سبق تبين أن الأسطورة ارتبطت بالتاريخ ارتباطاً قوياً، وفي بعض الأحيان طغت عليه، وسيطرت على كثير من الأحداث والوقائع التاريخية، وانحرفت بها عن المصداقية والواقعية، على الرغم من حمل الكثير من الأساطير نوع من الحقيقة، ولكن تشوبها الكثير من الخرافات والافتراءات، فكانت مرويات الأندلس تحمل الكثير من الأساطير والمغالطات، التي ترددها كتب التاريخ بدون تمحيص، تحمل الشيء الكثير من التشويه والدس على تاريخنا الإسلامي، فمن خلال تلك السطور نُحمل مدونين تلك المرويات وزر تلك الافتراءات على خلفاء بني أميه وخاصة من كان يقوده هواه السياسي والديني ! لقد تم تشويه قادة الفتح بما يروجه عليهم من مفاسد في القول والفعل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:

القرآن الكريم: برواية قانون لقراءة نافع طُبع بإشراف مجمع الملك فهد (بيروت ،1405هـ)

ابن الآبار، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي، (م**658هـ/1260م**) **الحلة السيراء،** تحقيق حسين مؤنس دار المعارف، القاهرة، 1985م

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (م **620هـ/1223م**) **الكامل في التاريخ،** دار صادر، بيروت ،1965م

ابن بسام الشنتريني، ، أبو الحسن علي بن بسام (م**542هـ/1147م**)**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،** تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998م

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، (م**808هـ/1406م**) **تاريخ ابن خلدون،** ضبط خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت ،2001م

ابن خلكان، لأبي العباس شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (م**681هـ/1292م**) **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان،** تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1972م

ابن الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (كان حياً في القرن الخامس) **تاريخ إفريقية والمغرب،** تحقيق الدكتور عبدالله العلي الزيدان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1990م

ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبدالله القرطبي (م**463هـ**) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** صححه عادل مرشد، دار الأعلم، الأردن ،2002م

ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،1983 م

ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (م**257**هـ/**871**م) **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبدالمنعم عامر، الهيئة العامة للقصور الثقافة، القاهرة ،2001م

ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم (م **276**هـ/**889**م) **الإمامة والسياسة**، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة، د. م/د.ت

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (م، **ت 367**هـ/**977**م) **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق، إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م

ابن الكردبوس ، (**القرن السادس الهجري** ، **الثاني عشر الميلادي**) تاريخ الأندلس ، وصفه لابن شباط ، تحقيق احمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1971م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (م 711هـ/1311م) **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ،1968م.

الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد (**كان حياً في السادس الهجري**) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،2002 م.

البكري، أبو عبيد الله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب (م **487**هـ) .**المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ،د.ت.

الحميدي، أبو عبدالله محمد بن فتوح الأزدي (م **488**هـ/**1090**م) **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق الأبيارى، بيروت ،1983م

الحميري، أبو الوليد محمد بن عبدالمنعم السبتي (**866**هـ/**1461**م) **الروض المعطار في خبر الأقطار**، نشره: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1937م.

الرازي ،محمد بن أبي بكر عبدالقادر ، **مختار الصحاح** ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1986م.

الضبيّ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة القرطبي (**ت599**هـ/**1202**م) **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت 1967م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (م **310**هـ) **تفسير الطبري جامع البيان**، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ،1994م

المقّري، أحمد بن محمد المقّري التلمساني (م**1041**هـ) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ،1988م.

مؤلف مجهول، (**كاتب مراكشي من كُتاب القرن السادس الهجري**) **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبيارى ،دار الكتاب المصري، القاهرة ،1989م.

ثانياً المراجع:

أرسلان، شكيب، (**1936م**)، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، منشورات المكتبة التجارية، المطبعة الرحمانية، فاس .

الألباني، نصر الدين، (**1933م**)، **إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، المكتب الإسلامي، بيروت.

إلياد، مرسيا، (**1990م**) **مظاهر الأسطورة**، ترجمة نهاد خياط، دار كنعان، دمشق .

التيمومي، الهادي، (**2000م**) **مفهوم التاريخ وتاريخ المفهوم**، دار محمد علي للنشر، تونس.

الثعالبي، عبدالعزيز، (**1990م**).**تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تحقيق الدكتور أحمد بن ميلاد وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت

جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، (**2005م**) **الأسطورة توثيق حضاري**، البحرين

خطاب، محمود شيت، (**2003م**) **قادة الفتح الإسلامي**، مؤسسة علوم القرآن، بيروت

دوزي، رينهارت، **الرسالة الشريفية (ذيلا على تاريخ افتتاح الأندلس لأبن قوطية)**.

ديورانت، ول ويريل، (**1988**) **قصة الحضارة**، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت

زيتون، محمد محمد، (**1990م**)، **المسلمون في المغرب والأندلس**، القاهرة

سيجال، روبرت إيه، (**2017م**) **الأسطورة**، ترجمة محمد طنطاوي، مؤسسة الهنداوي، القاهرة

صبحي، أحمد محمود، (**1994م**)، **في فلسفة التاريخ**، دار النهضة العربية، بيروت

طه، عبدالواحد دنون، (**2004م**)، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت

عنان، محمد عبدالله، (**1969م**)**دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة

عويس، عبدالحليم، (**1995م**)، **إحراق طارق بن زياد للسفن اسطورة لا تاريخ**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة

كار، إدوارد، (**1976م**)، **ما هو التاريخ**، ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل، بيروت

كاسيرر، أرنست، (**2009م**)، **اللغة والأسطورة**، ترجمة سعيد الغانمي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي

مسعود، مخائيل، (**1994م**)، **الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت

ثالثاً: الرسائل العلمية والمجلات:

السواح، فراس: **الأسطورة المصطلح والوظيفة** مقالة منشورة على موقع النور.

شهاب، ميساء، (**2012م**) **الأسطورة والدين**، مجلة دنيا الوطن

علي، حامد عبد الحمزة محمد، (**د،ت**)، **جدلية التفسير الأسطوري للتاريخ**، مجلة دراسات التاريخية، العدد52، جامعة بابل

عمارية، حاكم، **الأسطورة ودورها في الأبداع**، الجزائر

فلاقة، سعد، (**2008م**)، **خطبة طارق بن زياد بين الإثبات والنفي**، مجلة المؤرخ، العدد الأول، 5نوفمبر

قاسم، علي حسين، (**2016م**)، **جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة**، كلية الآداب، جامعة بني سويف

لكبير، فضيلة، (**2009م**)، **دور الأسطورة الدينية في بناء النظام الاجتماعي**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر